المدرسة الفرنسية وأثرها في دراسة التصوف الإسلامي المعاصر هنري كوربين نموذجًا

د. عبد الرحمن عبد الحميد هندأوي^(١)

ملخص البحث

يأتي هذا البحث تحت عنوان: (المدرسة الفرنسية وأثرها في دراسة التصوف الإسلامي المعاصر - هنري كوربين نموذجًا)، ويشتمل البحث على مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات في نهاية البحث. **المطلب الأول:** هنري كوربين، وصلته بالفكر الإسلامي عامة، والتصوف الإسلامي خاصة.

المطلب الثاني: التصوف الإسلامي عند هنري كوربين، مفهومه، وطبيعته، ومنهج دراسته.

المطلب الثالث: إسهامات هنري كوربين في خدمة التصوف الإسلامي عامة والشيعي خاصة.

المطلب الرابع: أثر هنري كوربين على دراسة التصوف الإسلامي المعاصر.

المطلب الخامس: فلاسفة تأثروا بهنري كوربين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وفهرس المصادر والمراجع.

وتكمن أهمية هذا البحث في دراسته لأثر شخصية مهمة؛ إذ تُعتبر من أهم الشخصيات التي درست التصوف الفلسفي، فقد كان مدير مدرسة الدراسات العليا في باريس، ومدير المعهد الفرنسي الإيراني في طهران، وقد أثرت دراساته الصوفية المكتبة العربية والإسلامية، وتمثل دراساته للتصوف الإسلامي نقطة تحول في طبيعة الدراسات الصوفية لدى المستشرقين، كما تعدُّ تمهيدًا لبناء تصورات جديدة عن التصوف والفكر الإسلامي غير تلك التصورات التي كانت سائدة في الغرب، كما تعتبر بداية لانطلاق التصوف العرفاني والشيعي من جديد، وذيوعه بين دارسي الفكر الإسلامي، إضافة إلى

(١) مدرس بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، قسم الفلسفة الإسلامية.

تطويره لمفهوم "العالم المتخيل"، وتقديم التصوف كحركة فلسفية وروحية، وهو بذلك قد أحدث تحولاً جذرياً في الطريقة التي يتم بها دراسة التصوف في العصر الحديث. ومما يؤخذ عليه أنه حاول اختزال التصوف الإسلامي في صورته العرفانية الفارسية المتأثرة بالعقائد الشيعية، وربط التصوف بهذه العقائد كالإمامة والظاهر والباطن وغيرها من عقائد الشيعة الإمامية والإسماعيلية.

The Abstract

This study is titled: "The French School and Its Influence on the Study of Contemporary Islamic Mysticism: Henry Corbin as a Case Study." It comprises an introduction, five main sections, a conclusion, a bibliography, and an index of topics at the end.

Structure of the Study:

–First Section: Henry Corbin, his connection to Islamic thought in general, and Islamic Sufism in particular.

–Second Section :Islamic Mysticism According to Henry Corbin—its concept, nature, and methodological approach.

–third Section: Corbin's contributions to the study of Islamic mysticism in general and Shi'ite mysticism in particular.

–Fourth Section: The impact of Henry Corbin on contemporary studies of Islamic mysticism.

–Fifth Section: Philosophers influenced by Corbin.

Conclusion: A summary of key findings, followed by the bibliography.

Significance of the Study:

This research delves into the intellectual legacy of Henry Corbin, a pivotal figure in the study of philosophical mysticism. Corbin served as the director of the École Pratique des Hautes Études in Paris and the French Institute of Iran in Tehran. His scholarly contributions have significantly enriched Arabic and Islamic academic discourse, marking a turning point in the orientalist approach to Sufi studies.

His work laid the foundation for rethinking Islamic mysticism and philosophy beyond the prevailing Western perspectives. It also played a crucial role in reviving interest in Shi'ite and gnostic mysticism, fostering its

widespread recognition among scholars of Islamic thought. Additionally, Corbin's development of the concept of the "imaginal world" and his presentation of Sufism as both a philosophical and spiritual movement revolutionized the modern study of mysticism.

Criticism of Corbin's Approach:

Despite his profound influence, Corbin has been criticized for reducing Islamic mysticism to its Persian gnostic dimension, heavily shaped by Shi'ite theological doctrines. His interpretation closely aligns Sufism with concepts such as imamate, esotericism (*zāhir* and *bāṭin*), and other Shi'ite *Imamī* and *Ismā'īlī* beliefs, which limits his portrayal of Sufism and fails to capture its full diversity within the Islamic tradition.

مقدمة

لقد شملت عناية المستشرقين واهتمامهم بالحضارة العربية كل العلوم العربية والإسلامية، كعلوم اللغة والأدب، والتاريخ والسياسة، والتفسير والحديث والتشريع، بالإضافة أيضًا إلى الدراسات العلمية والرياضية وغير ذلك من أنواع العلوم، ولا شك أن الدراسات الفلسفية عامة والصوفية على وجه الخصوص قد أخذت حظًا وافرًا من عناية المستشرقين، حيث رحل علماء الغرب إلى الشرق لدراستها والوقوف عليها، وتتلّمذوا في المعاهد الشرقية، وأنشأوا معاهد للدراسات الإسلامية في باريس وبرلين ولندن وروما وغيرها، بل قاموا أيضًا بتشكيل جمعيات علمية وتاريخية لمعالجة هذه المشكلات الفلسفية والصوفية، كما أوقفوا جرائد ومجلات علمية خاصة بهذه الدراسات، وعكفوا على هذه الدراسات ترجمة وتحقيقًا ودراسة وشرحًا، كما أرخوا لحياة الفلاسفة وكتبوا في آرائهم ومذاهبهم ومناهجهم الفلسفية والصوفية والكلامية، وعكف بعض المستشرقين على دراسة مجال بحثي أو شخصية من الشخصيات الفلسفية، كما فعل هنري كوربين، والبارون كارا دي فو، وماسينيون، ونيكلسون وغيرهم.

ويُعتبر التصوف الإسلامي مجالًا غنيًا ومعقدًا للدراسة، وقد حظي باهتمام خاص من قبل الباحثين والمستشرقين في الغرب، ومما لا شك فيه أن للمدرسة الفرنسية بصمات واضحة في دراسة التصوف والوقوف على شخصياته وتاريخه ومباحثه، لا سيما من خلال أعمال لويس ماسينيون وهنري كوربين، فكلا المفكرين قدما إسهامات

فريدة وعديدة، وإن كانت تتباين من حيث المنهج والأسلوب، لكنها في النهاية تسلط الضوء على الأبعاد الروحية والفلسفية للتصوف الإسلامي.

وفي هذا البحث نريد أن نقف على أثر هذه المدرسة لاسيما ذلك الأثر الذي تركه هنري كوربين على التصوف الإسلامي ودراسته في العصر الحديث والمعاصر.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في دراسته لأثر شخصية مهمة؛ إذ تُعتبر من أهم الشخصيات التي درست التصوف الفلسفي، ذلك لأن هنري كوربين كان مدير مدرسة الدراسات العليا في باريس، ومدير المعهد الفرنسي الإيراني في طهران، وقد أثرت دراساته الصوفية المكتبة العربية والإسلامية، وتمثل دراساته للتصوف الإسلامي نقطة تحول في طبيعة الدراسات الصوفية لدى المستشرقين، كما تعدُّ تمهيداً لبناء تصورات جديدة عن التصوف والفكر الإسلامي غير تلك التصورات التي كانت سائدة في الغرب، كما تعتبر بداية لانطلاق التصوف العرفاني والشيوعي من جديد، وذيوعه بين دارسي الفكر الإسلامي.

أهداف البحث:

بناء على ما ذكرته عن أهمية هذا البحث، وأهمية الدراسات التي قام بها هنري كوربين، وكونها تمثل نقطة تحول في طبيعة الدراسات الصوفية والعرفانية لدى المستشرقين... إلخ، فقد نبعت أهداف البحث من هذه الأهمية المشار إليها، ولعل من هذه الأهداف ما يلي:

- التعرف على مفهوم التصوف وطبيعته لدى هنري كوربين ومدى اتقاؤه واختلافه مع دارسي التصوف.

- التعرف على أهم إسهاماته في دراسة التصوف الشيعي خاصة، والإسلامي عامة.

- الوقوف على الأثر الذي أحدثه هنري كوربين في الدراسات الصوفية الحديثة والمعاصرة، وكيف أعاد توجيه الاستشراق المعاصر نحو دراسات جديدة وفهم

مختلف في دراسة التصوف الإسلامي.

الدراسات السابقة:

تنوعت وتعددت الدراسات السابقة التي ركزت على المستشرق الفرنسي هنري كوربين سواء من خلال أفراد دراسة مستقلة له أو تضمينها كمبحث أو فصل ضمن فصول الدراسة، ولعل من أهم هذه الدراسات تلك الدراسة التي ركزت على منهجه في دراسة التصوف كما رأينا في (كتاب الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، مصادره وآثاره، تحليل ونقد، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي)، أو ركزت على منهجه في دراسة الفلسفة مثل: الرؤية الاستشراقية للفلسفة الإسلامية عند هنري كوربين، زهير بن كتفي.

وهناك دراسات أخرى ركزت على مفهوم الفلسفة عنده، كبحت: (مفهوم الفلسفة الإسلامية في استشراق هنري كوربين)، لـ زهير بن كتفي، أو قدّمت دراسة عن مؤلف لهنري كوربين، مثل: (هنري كوربين ومنهج دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية)، لـ زكي الميلاد... إلخ.

بالإضافة إلى دراسات أخرى ناقشت جانبًا مهمًا لدى هنري كوربين، كرؤيته للتصوف، ورؤيته للفكر الإيراني، كدراسة هادي عبد النبي التميمي... إلخ. ومن الملاحظ على هذه الدراسات أنها - على أهميتها - لم تناقش الأثر الذي أحدثه هنري كوربين على التصوف الإسلامي المعاصر، من خلال أفكاره التي مثلت نقطة تحول في تاريخ الدراسات الصوفية، وهذا ما أردت الوقوف عليه ومناقشته كما سبق أن بينت في مقدمة البحث.

منهج البحث:

تعددت وتنوعت المناهج التي اتبعتها في هذا البحث، فاعتمدت مثلاً على المنهج الاستقرائي لتتبع أفكار هنري كوربين ونظرياته حول التصوف الإسلامي، وتتبع الآراء والنظريات التي تأثرت به وتتبع القائلين بها من الفلاسفة والدارسين، كما وظفت المنهج المقارن للمقارنة بين دراسة هنري كوربين للتصوف وبين غيره من الفلاسفة والوقوف على الأفكار الجديدة التي انفرد بها هنري كوربين عن غيره من الفلاسفة والدارسين للتصوف الإسلامي، بالإضافة إلى المنهج النقدي أحياناً لمناقشة هذه الأفكار الفلسفية ونقدها وبيان مدى قربها أو بعدها عن النهج الإسلامي القويم في الفكر الإسلامي. إجراءات البحث:

- عزوت كافة النقول إلى أصحابها.
- ترجمة في الحاشية للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في متن البحث.
- عرفت بالمصطلحات، أو الألفاظ المعرّبة أو الغريبة أو التي تحتاج إلى بيان.
- وضعت فهرساً للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

خطة البحث:

وتشتمل على مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات في نهاية البحث.

المطلب الأول: هنري كوربين، وصلته بالفكر الإسلامي عامة، والتصوف الإسلامي خاصة.

المطلب الثاني: التصوف الإسلامي عند هنري كوربين، مفهومه، وطبيعته، ومنهج دراسته.

المطلب الثالث: إسهامات هنري كوربين في خدمة التصوف الإسلامي عامة والشيعي خاصة.

المطلب الرابع: أثر هنري كوربين على دراسة التصوف الإسلامي المعاصر.

المطلب الخامس: فلاسفة تأثروا بهنري كوربين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وفهرس المصادر والمراجع.

المطلب الأول

هنري كوربين، وصلته بالفكر الإسلامي عامة، والتصوف الإسلامي خاصة

يعدُّ هنري كوربين (١٩٠٣-١٩٧٨) علماً من أعلام الاستشراق الفرنسي، برع في

الفلسفة الإسلامية، كما تأثر بعمق بالفلسفة الألمانية، خاصة الفلسفة الظاهراتية^(١)

(١) وهو منهج فلسفي دعا إليه الفيلسوف الألماني هوسرل، ويهتم بدراسة الظواهر كما تدرك في تجربة الوعي، بغض النظر عن أية فرضيات مسبقة حول وجودها الموضوعي، فهو يهدف إلى الوصول إلى المعرفة المباشرة، أو إدراك مباشر لماهيات الأشياء عينها، رؤية ذهنية، واستبصار لحقيقة الشيء، ينهار معها الجدار التاريخي بين الظاهر والواقع. (مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، انطوان خوري، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٧٤)، و الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م، ص٥٠٨، وانظر:

والوجودية^(١) كما ظهرت عند مارتن هايدغر^(٢)، كان اهتمامه منصبًا على العلاقة بين الفلسفة والدين، وخاصة في السياقات الإسلامية، ولعل من أهم ما يميز كوربين عن غيره من المستشرقين -الذين برعوا وبرزوا في دراسة الفكر الإسلامي- هو تركيزه العميق على التصوف الشيعي خاصة لدى طوائف الإسماعيلية والاثني عشرية، مركزًا على الفلسفات الروحية في الإسلام الإيراني، حيث رأى في هذا التراث منبعًا للفكر الروحي الغني والمعقد.

وينتمي هنري كوربين إلى أسرة بروتستانتية، وقد كان يتيم الأم كما تخلى والد عنه، ولذا فقد تولت عمته رعايته، ودرس في المدارس الكاثوليكية، كما كان متقنًا للغات الألمانية واللاتينية واليونانية والروسية^(٣)، وقد تخرج كوربين في كلية الآداب بجامعة السوربون بفرنسا وفيها تتلمذ على لويس ماسينيون وغيره من أعلام الاستشراق الفرنسي، وحصل على الدبلوم العالي، ثم دبلوم معهد الدراسات العليا من جامعة باريس، ثم التحق بمدرسة اللغات الشرقية، وتخرج منها عام ١٩٢٩م، واشتغل محافظًا في المكتبة

(مصطلحات عصر العولمة، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، مكتبة كتب عربية، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٣٤٩).

(١) المقصود بالفلسفة الوجودية هي تلك الفلسفة التي تقول بأسبقية الوجود على الماهية وأن الإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياره ومواقفه، وهو مذهب مختلف بشأنه حتى بين أتباعه، وهو وإن بدا عصرياً إلا أنهم يردونه إلى سقراط،... وفلسفة الوجود ضد المذهبية، وكان كيركجورد يرى أن وجود الإنسان أسبق على كل المذاهب، ومن أعلام هذه المدرسة أيضاً دستوفسكي، وهايدجر، ونييتشه، وسارتر... إلخ. (الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م، ص ٥٢٥).

(٢) مارتن هايدغر: هو أحد مؤسسي الوجودية الألمانية، والداعية الأساسي لها، وكتب رسالته في الدكتوراه تحت إشراف ريكتر، وكان مساعداً لهوسيرل، ومن أشهر مؤلفاته: الوجود والزمان، كانط ومشكلة الميتافيزيقا، مدخل إلى الميتافيزيقا. (الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء السوفييتيين، إشراف: م/ روزنتال، ب/ يودين، صادرة من موسكو، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٥٦٥).

(٣) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣، ص ٤٨٢.

الوطنية بباريس، وتزوج من صديقه استلا stella التي مدّت له يد العون في رحلته الفلسفية، فأهدى لها بعض كتبه، وتقل من فرنسا إلى ألمانيا بتكليف من المكتبة الوطنية، وفي برلين تعرف على شخصيات فلسفية مؤثرة، ثم انتقل إلى تركيا فأقام في أستانبول في مبنى البعثة الأثرية الفرنسية، ست سنوات، وأقبل فيها على دراسة أعلام التصوف الفلسفي، كالسهروردي، واستفاد من المخطوطات المحفوظة هناك، ثم أنشأت الحكومة الفرنسية معهداً للدراسات الإيرانية عام ١٩٤٥م، وتولّى كورين الإشراف عليه، فارتحل من أستانبول إلى إيران، وبقي هناك مديراً للمعهد حتى عام ١٩٥٤م، وأنشأ المكتبة الإيرانية هناك، لإصدار منشورات محققة لمؤلفات فارسية في ميدان التصوف والفلسفة الإشرافية، وقد بلغ مجموع ما نشر منها حتى عام ١٩٧٥م (٢٢ مجلداً ضخماً)، كما تولى إدارة المدرسة العملية للدراسات العليا الملحقة بالسوربون خلفاً لماسينيون، فأصبح يتردد بين باريس وطهران، حتى توفي عام ١٩٧٨م^(١).

وقد دفعه اهتمامه بالفلسفة السينية إلى إعادة النظر في الفكر الفلسفي والصوفي في الإسلام عامة، وعند الشيعة خاصة، ولذا تعلم اللغتين العربية والفارسية ليسهل طريق البحث والدراسة في الفكر الفلسفي الإيراني، فقد ذكر هنري كورين أن ما جناه المستشرقون حتى الآن من معلومات علمية عن الإسلام اقتصر على مصادر أهل السنة ولم يتجاوزها، تستوي في ذلك البحوث التي أنجزها هؤلاء على الكتب والآثار الإسلامية، واللقاءات التي تمت لهم مع علماء الإسلام، إذ تمت هي الأخرى في محيط سني، بحيث لم يفتح المستشرقون على غير هذا المحيط فيما يحفل به من مصادر ورجال، بل نراهم عادوا إلى مصادر أهل السنة وعلمائهم في تشخيص المذاهب الإسلامية المختلفة، ومعرفة الأصول والمباني التي تقوم عليها ولم يتعدوها إلى غيرها من النظريات^(٢)، ولذا فقد استغل هنري كورين وجوده في إيران فبذل جهده في دراسة التصوف الفلسفي الإيراني وتسليط الضوء عليه، يقول هنري كورين: "من هذه الجهة

(١) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣، ص ٤٨٣.

(٢) الشيعة، نص الحوار مع المستشرق كورين، العلامة الطباطبائي، ترجمة: جواد علي (خالد توفيق)،

بذلت جهودي على قدر ما أستطيع لتعريف العالم الغربي بمذهب التشيع على النحو الذي يليق به ويتسق مع واقعية هذا المذهب، وسأبقى أبذل الجهود في هذا الطريق"^(١)، بل لا يرى كوربين نفسه مبالغًا حين يقول: "في اعتقادي أن مذهب التشيع هو المذهب الذي استطاع أن يحفظ علاقة الهداية الإلهية بين الله والخلق دائمًا، وأحيا مفهوم الولاية بصورة مستمرة وثابتة"^(٢). وفي سبيل ذلك كرّس حياته لدراسة التصوف الفلسفي الشيعي، ودراسة السهروردي المقتول على وجه الخصوص، وجعل هدفه أن يجعل تلك الدراسات واضحة للعالم الغربي، ليروا نموذجًا مختلفًا من الفكر الإسلامي غير ذلك النموذج الذي ألفوه من تراث الفكر الفلسفي لدى المسلمين.

المطلب الثاني

التصوف الإسلامي عند هنري كوربين، مفهومه، وطبيعته، ومنهج دراسته
ركّز كثير من المستشرقين جهودهم على دراسة التصوف الإسلامي، وتعددت آراؤهم حول التصوف، وجذوره ومصادره، فمنهم من أرجع التصوف إلى مصادر هندية أو فارسية أو يونانية أو مسيحية^(٣)، والسبب وراء ذلك أنّ المستشرقين لم يقفوا على المصادر الأولى للتصوف الإسلامي، بل عرفوا المصادر الصوفية المتأخرة التي لا تصور التصوف الإسلامي في مراحلها الأولى، فاستبعدوا أن يكون التصوف نبتًا أجنبيًا في صحراء الإسلام القاحلة، فلقد كانت معرفتهم بالدين الإسلامي معرفة يسيرة، ولم يكونوا له أي تقدير، ولم يكن في نظرهم جديرًا بأن تنبثق عنه أية حركة روحية سامقة وفاقية^(٤)، يُضاف إلى ذلك تشابه المصطلحات والصياغات والتعبيرات التي استخدمها الصوفية المسلمون وتلك التي استخدمها التصوف المسيحي والهندي والأفلاطونية

(١) الشيعة، نص الحوار مع المستشرق كوربين، العلامة الطباطبائي، ترجمة: جواد علي (خالد توفيق)، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٢) الشيعة، نص الحوار مع المستشرق كوربين، العلامة الطباطبائي، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣) فصول في التصوف، د/ حسن الشافعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٥٨.

(٤) وقد أشار إلى هذا السبب المستشرقة البلغارية أنا ماري شميل، انظر: الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، مصادره وأثاره، تحليل ونقد، الدكتور محمد عبد الله الشرفاوي، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، د.ت ص ١٧.

الجديدة^(١)، ويكشف آربي عن السبب الحقيقي وراء اتجاه زملائه المستشرقين الذين اتخذوا مجرد التشابه في المصطلحات مبرراً للبحث عن مصدر أجنبي - التحيز الذي جعلهم يلتزمون لكل أمر ممتاز في الإسلام مصدراً أجنبياً، وأن كل حسنة في الإسلام يجب أن ينسبوا إلى مصدر أجنبي أو آخر وتلك - على حد قوله - أسوء صور الخيانة العلمية والتعصب الطائفي^(٢).

وينقل الدكتور الشرقاوي عن المستشرق كاسبر أن هناك أربعة اتجاهات رئيسية معاصرة لدراسة التصوف، وهي: الاتجاه الإشرافي الباطني، والاتجاه الناموسي أو التعليمي، والاتجاه الذي يقسم التصوف إلى طبعي وفائق للطبعة، والاتجاه الذي يركز على دراسة شخصية واحدة من كل جوانبها، كما يرى أن الاتجاه الأول وهو الاتجاه الإشرافي الباطني هو الاتجاه الذي يمثله ويتزعمه المستشرق هنري كورين^(٣).

ولا شك أن هنري كورين - وهو زعيم الاتجاه الإشرافي الباطني - يرجع التصوف أو (المذهب الإشرافي تحديداً - الذي يمثل التصوف الحقيقي لدى كورين) إلى أصول فارسية قديمة^(٤).

وتعد دراسة هنري كورين عن التصوف الإسلامي من أهم دراسات المستشرقين بلا نقاش - على حد تعبير الدكتور عبد الله الشرقاوي^(٥).

ويرى الدكتور حامد طاهر أن هنري كورين حاول الربط بين المذاهب الباطنية في العالم الإسلامي، وبين التصوف (التصوف + التشيع + الإسماعيلية) وكان يطمح من وراء ذلك إلى أن يقيم علاقة بين هذا المجموع الروحي للإسلام في رأيه وبين الروحانية المسيحية في جوهرها البعيد عن الكنيسة الرسمية القائمة^(٦).

(١) انظر: الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، مصادره وآثاره، تحليل ونقد، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، د.ت ١٤٣٠.

(٢) انظر: الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، مصادره وآثاره، تحليل ونقد، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، د.ت ١٤٤٤.

(٣) انظر: الاتجاهات الحديثة، مرجع سابق، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٤) انظر: الاتجاهات الحديثة، ص ١٩٧.

(٥) انظر: الاتجاهات الحديثة، ص ١٩٧.

(٦) التصوف الإسلامي دراسته، مصادره، موضوعاته، الدكتور حامد طاهر، ط ١، ١٩٨٥، انظر: ، ص ١٠٠.

فعلى عكس ماسينيون وغيره من المستشرقين الذين ركزوا على التصوف السني، كان كوربين أكثر اهتمامًا بالفكر الباطني الشيعي والصوفي الإيراني، وقد بدا ذلك واضحًا من دراسته للتيارات الإسماعيلية والفلسفة الإشرافية (التي أسسها السهروردي)، والتي قدّمت فهمًا جديدًا ومختلفًا عما نعرفه في التصوف السني - للعلاقة بين الأرضي والسمائي في الفكر الصوفي.

وهذا التصوف الشيعي - كما يراه كوربين - يقدم رؤية شاملة للعالم الروحي، حيث يمكن للعالم المادي أن يتفاعل مع العالم الروحي من خلال هذه التأملات العرفانية الصوفية، وبهذا يكون كوربين قد قدم رؤية جديدة للتصوف من خلال دراسته للفلسفة الإسلامية الشيعية.

ولعلنا نكون منصفين إذا ذهبنا إلى القول بأن أهم ما يميز دراسة التصوف الإسلامي لدى هنري كوربين أنه يقدمه باعتباره تجارب وتأملات عرفانية إشرافية، أو هو مسار فلسفي يُظهر العلاقة العميقة بين الإنسان والعالم الروحي.

ولقد استغرقت عقيدة الاستبطان الروحاني والعرفاني عقل كوربين حتى ذهب إلى تعريف التصوف تعريفًا عرفانيًا إشرافيًا يتناسب مع عقائد الاستبطان الشيعي، فهو يقول: التصوف باعتباره شاهدًا للدين الصوفي في الإسلام، هو ظاهرة روحية لا تقدر، فهو أولاً وقبل كل شيء إثمار لرسالة النبي الروحانية وجهد مستمر لعيش أنماط الوحي القرآني عيشًا شخصيًا عن طريق الاستبطان، فالمعراج النبوي الذي تعرّف به الرسول على الأسرار (الغيوب) الإلهية يظل النموذج الأول الذي حاول بلوغه جميع المتصوفين واحدًا بعد آخر، فالتصوف هو شهادة لا تُنكر، واعتراض ساطع من الإسلام الروحاني ضد كل نزعة حاولت حصر الإسلام بالشريعة وظاهر النص، ولقد توصل في تفاصيله إلى تنمية تقنية روحانية خلقت بتقدمها ودرجاتها وحاصلها ميتافيزيقا كاملة عرفت باسم (العرفان)^(١)، وإذن فإن ثنائية الشريعة والحقيقة هي أمر أساسي لحياة وعقيدة الصوفية،

(١) والعرفان لدى كثير من الصوفية هو المعرفة اللدنية أو العلم اللدني (الموسوعة الفلسفية العربية، د/ معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ج١/ ٥٨٧)، وهو لدى أهل التصوف الباطني هو على صنفين: نظري، وعملي، أما النظري: فهو فرع من فروع المعرفة الإنسانية التي تحاول أن تعطي تفسيرًا كاملاً عن الوجود ونظامه وتجلياته ومراتبه، وبعبارة أخرى: العرفان النظري هو بصدد أعطاء رؤية كونية عن المحاور الأساسية في عالم الوجود، وهي الله والإنسان والعالم، وأما العرفان العملي، فهو: مرتبط بالسلوك والعمل والمجاهدة الخارجية، ولا علاقة لذلك بالرؤية الكونية أي بالعرفان النظري، وهو الذي يتعهد تفسير وبيان مقامات العارفين ودرجات

أو قُل ليكون الكلام أدق وأتم تلك الثلاثية بدلا من الثنائية المكونة من الشريعة (النص الظاهر للوحي)، والطريقة (السبيل الصوفي)، والحقيقة (الحقيقة الروحانية كإنجازٍ شخصي) ^(١).

ويتساءل كوربن عن ثنائية الحقيقة والشريعة التي توصلُ إليه الطريقة، هل هي بدعة خاصة بالطريقة الشيعية أم أنها شرط لازم وأساسي في الإسلام؟ ليجيب عن هذا الإسلام إجابة ضمنية في ثنايا بحثه بأنها شرط لازم وأساسي في الإسلام ^(٢)، خاصة في حديثه عن الولاية لدى أبي اليزيد البسطامي، والحكيم الترمذي، والحلاج، والسهرودي المقتول.

وقد أولى هنري كوربين مبحث التصوف عناية كبيرة خاصة في الفصل السادس من كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية) فقد عقد مبحثاً فيه عن "التصوف"، وعرفه إجمالاً، ووقف عند كلمة "صوفي" و"صوفية" ويبحث تلك التسمية لغة واصطلاحاً، وأرجع هذه التسمية "إلى عادة الصوفيين في لبس الخرق الصوفية البيضاء وتميزهم بها ثم انتقل للحديث عن بعض المتصوفة وطريقتهم الصوفية، ويرى كوربن أن مصطلح (الصوفي) أو (متصوف) يرتبط أساساً بهؤلاء المسلمين النساك أوالروحانيين الذين اشتغلوا بالتصوف، فالإسلام وإن كان لا يحمل اسم (التصوف) ولكنه مع ذلك إسلام روحاني ^(٣)، كما يرى ان أول من أطلق عليهم اسم الصوفية كانوا جماعة من الشيعة الروحانيين من أهل الكوفة ^(٤)، وعلى هذا فإن التصوف يعتبر من أهم مظاهر الحياة

السالكين إلى القرب الإلهي بقدم المجاهدة والتصفية والتزكية... إلخ. (انظر: العرفان الشيعي، روى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية، من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ خليل رزق، دار فراقد للطباعة والنشر، إيران، قم، ط١، ٢٠٠٨، ص١٦، ص٢٥)، وانظر: فلسفة العرفان، د/محمد شقير، دار الهادي/ مكتبة مؤمن قريش، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٠، ١١، ١٦.

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ الينابيع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كوربن، مرجع سابق، ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٢٨٣.

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٢٨٤.

الروحانية في الإسلام؛ إذ إنه يتضمن منهجًا متميزًا في التدين والاعتقاد والسلوك، كما يتميز بروئيته الخاصة لتلك العلاقة الإيمانية والروحانية بين الله والإنسان، وهو اختزال أنشطة الإنسان في الجانب الروحاني وحده، ولذلك فقد عرفه بأنه "ظاهرة روحية لا تقدر"^(١).

والمتمأمل للدراسة التي قدمها كوربين عن بعض المتصوفة، كأبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) والجنيد (ت ٢٩٧ هـ) وحكيم الترمذي والحلاج الصوفي الشهير يجد أنه يركز على الجانب العرفاني والروحاني في تجاربهم الصوفية، وتتجلى هذه التجارب الروحانية في حديثهم عن الصدق والإخلاص والعبادة، والمحبة أو الحب المثالي الأفلاطوني، والعشق، واليقين المعرفي، والحقيقة والشريعة، والقانون الإلهي، والحقيقة الروحانية الباطنية... إلخ) وهي كلها عبارات روحانية لا تتبع إلا من ذلك المتصوف الذي آمن بتلك التجربة وعاشها، وصارت جزءا من شخصيته وكيانه، بل صارت هي كيانه ونفسه وروحه التي يحيا بها وينبض بها قلبه.

ويرى كوربين أن المتمأمل لتجارب هؤلاء الصوفية يجد أنها مرتبطة بمثنوية الشريعة والحقيقة معا، ويقصد بالشريعة ذلك القانون الإلهي الذي لا يتغير من نبي إلى نبي، أما الحقيقة فهي الحقيقة الروحانية الباقية.

ومما يميز منهج دراسة التصوف عند هنري كوربين أيضا:

- التأثير بالفكر الظاهراتي: فقد استخدم كوربين المنهج الظاهراتي لفهم التصوف كظاهرة روحية، من خلال هذا المنهج، ولم يكن التصوف بالنسبة له مجرد مجموعة من العقائد أو الطقوس، بل كان يمثل لديه تجربة شخصية عميقة تتجاوز الزمان والمكان، تلك التجربة التي تتسم بالبعد الرمزي الذي يسمح للفرد بالتواصل مع العالم الروحاني.

- المزج بين الفلسفة والتصوف: فقد كان كوربين يجمع بين الفلسفة والتصوف في دراساته، ويستخدم الفلسفة الظاهراتية لفهم العمق الروحي والميتافيزيقي للتجربة الصوفية، فتأثر كثيرا بفلسفة هايدغر وهوسرل، وأعاد تفسيرها في ضوء التصوف

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

الإسلامي، وقد اعتمد في دراسته للتصوف على النصوص الفلسفية والصوفية، لا سيما من التراث الإيراني والشيوعي، وكان يرى أن هذه النصوص تحمل في طياتها رؤية روحانية للعالم لا يمكن فهمها إلا من خلال المزج بين الفلسفة والدين أو التصوف.

- التأثر بالمدرسة الألمانية: فعلى الرغم من كونه فرنسيًا إلا أنه تأثر بالمنهج الفلسفي الألماني، خاصة من خلال علاقته بالفكر الظاهراتي والفلسفة الوجودية، وإعادة تقديمها بما يتماشى مع الفكر الصوفي في الإسلام، وكذلك من خلال زيارته لألمانيا، وإقامته بهمبورغ اتّصل بالفيلسوف الألماني (أرنست كاسيرر)، ثم من خلال زيارته لفريبورغ، اتّصل بالفيلسوف الألماني (هيدغر) الذي يمثل الفلسفة الوجودية في ألمانيا^(١).

المطلب الثالث

إسهامات هنري كوربين في خدمة التصوف الإسلامي عامة والشيوعي خاصة

لقد ساعد وجود هنري كوربين في إيران على أن يركّز جهوده على دراسة التصوف الإسلامي عامة والشيوعي على وجه الخصوص، وقد ظهر ذلك جلياً واضحاً من عناوين دراساته وأبحاثه ومضامينها، ولعل من أهم إسهاماته في خدمة التصوف الفلسفي الشيوعي ما يلي:

١- في الإسلام الإيراني: وهو من أبرز ما كتبه هنري كوربين عن الفكر الشيوعي الإيراني، ويتألف من أربعة أجزاء، حيث تناول في الجزء الأول منه مذهب الشيعة الإمامية، وتناول في الجزء الثاني شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي المقتول والإشراقيين في إيران، وأما الجزء الثالث فعن المخلصين للعشق الإلهي من الصوفية الإيرانيين، ثم تناول في الجزء الرابع المفكرين الإيرانيين في القرنين السابع عشر والتاسع عشر.

٢- تاريخ الفلسفة الإسلامية: وقد اهتم فيه كوربين بالتعريف بنشأة الفلسفة الإسلامية منذ ينابيعها الأولى إلى وفاة ابن رشد، معتبراً أن الفلسفة الإسلامية هي التي ختمت

(١) انظر: الرؤية الاستشراقية للفلسفة الإسلامية عند هنري كوربان، زهير بن كتفي، دار صفحات

مع ابن رشد الإندلسي (ت ١١٩٨ م) ولا غير^(١)، ورغم تصريحه بذلك فإنه يعود فيقول: وإنه لخطأ أساسي القول إن التأمل الفلسفي قد توقف بموت ابن رشد، فأما الذي توقف حينئذ فسنحاول الإيماء إليه فيما بعد في نهاية القسم الأول من هذه الدراسة^(٢)، ثم يقول بعد ذلك: ومع أنه من المعتمد عمومًا أن الأبحاث الفلسفية منذ ابن رشد قد آلت إلى السكون في الإسلام، إلا أننا سنرى القرن السادس عشر يسجل مع تقدم النهضة الصوفية تقدمًا مدهشًا للفكر والمفكرين في إيران^(٣)، ومعنى هذا أنه يعتبر أن الفلسفة الإسلامية لا تكون فلسفة حقيقية إلا إذا كانت فلسفة شيعية، تغلب الجانب الروحي والرمزية والتأويل القرآني، ولأهمية هذا الكتاب كما يرى الإمام موسى الصدر فإنه يقول في مقدمته للكتاب: "لقد فتح هذا الكتاب أمام الفكر الغربي بابا واسعًا جديدًا للثقافة الشرقية وكشف له كنوزًا غنية بالإنتاج الديني الفلسفي والتصوف الأصيل"^(٤)، ويحوي هذا الكتاب ثمانية فصول تحدث فيها عن التأمل الروحي للقرآن باعتباره أصلًا للفلسفة الإسلامية، ثم انتقل إلى الحديث عن المذهب الشيعي مركزًا على الإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية مبينًا أهم المبادئ التي يقومون عليها، فعرف علوم الإمامة والنبوة والعرفان، وأشار إلى المدارس الفلسفية السنية وعلم الكلام السني وأهم مدارسها وشيوخها كأبي الحسن الأشعري، كما حاول قدر طاقته أن يعرف بالفلاسفة الإسلاميين ونظرياتهم الفلسفية، كالكندي (٨٧٣)، والخوارزمي (ت ٨٤٧ م) وأبي بكر الرازي (ت ٩٢٣ م) والفارابي (ت ٩٥٠ م) وأبو حامد الغزالي (ت ١١١١ م)، كما أعطى لمحة سريعة عن التصوف وخصائصه في الفكر الإسلامي مستعرضًا بإيجاز حياة بعض فلاسفة الصوفية كالحلاج (ت ٩٢٢ م) والحكيم الترمذي (٩٣٢ م). كما تحدثت عن الفلسفة الإسلامية في الأندلس (إسبانيا)، معرِّجًا على أشهر المدارس الفلسفية الأندلسية كالمدرسة الرشدية، كما أفرد (السهورودي) بدراسات خاصة، وهي ما سوف نشير إليها.

(١) الشيعة، نص الحوار مع المستشرق كورين، العلامة الطباطبائي، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ الينابيع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كورين، مرجع سابق، ص ٣١.

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ الينابيع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كورين، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ الينابيع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كورين، نصير مروة/ حسن

قبيسي، مراجعة وتقديم: موسى الصدر، عويدات للنشر، بيروت/ لبنان، ط ٢، ١٩٩٨ م، ص ٧.

ويرى كورين في هذا الكتاب أن القرآن منبع للفكر الفلسفي في مضمون دعوته العقل الإنساني إلى التأمل والتدبر وإعمال العقل وفي شحذه لروح الإنسان ووجدانه وقلبه بشئ أنواع الصور الغيبية والنفسية، كما يرى أنّ النص القرآني لا يمكن فهم معانيه إلا ضمن تلك المرجعية الروحانية، فالقرآن إذن في رأيه هو المنبع الأساسي للتأمل الفلسفي في الإسلام، فهو يقول: "سنتكلم عن الفلسفة الإسلامية كفلسفة ترتبط نهضتها وانتشارها الأساسي بالواقع الديني والروحي للإسلام والتي إنما وجدت لتشهد على أن الإسلام لا يعبر عن ذاته بشكل تام وحاسم بالفقه وحده، كما كان يشاع خطأ"^(١)، وهذا يعني أن هناك شيئاً آخر يعبر عن الإسلام ويمكننا أن نفهم به القرآن ومعانيه ألا وهو ذلك المعنى الباطني المحجوب، أو المعنى الروحاني، وبناء على ذلك فإن كورين يقرر أن الإدراك الرمزي لنصوص القرآن مؤسس على التأويل الباطني لنصوص القرآن، أي لا يمكن فهم القرآن وإدراك معانيه إدراكاً حقيقياً بمعزل عن المعنى الباطني الروحي.

٣- الإمام الثاني عشر:

وقد درس فيه هنري كورين الفكر الشيعي الإمامي دراسة معمقة من منظور فلسفي وروحي، ويركز الكتاب على دور الإمام المهدي (الإمام الثاني عشر) في العقيدة الشيعية الإمامية، إذ يهدف كورين إلى تقديم تحليل معمق لهذا المفهوم (دور الإمام) ضمن إطار فلسفي وعرفاني، ويظهر كورين في هذا الكتاب احتراماً عميقاً للتقاليد والعقائد الشيعية بوصفها نظاماً دينياً وروحياً متماسكاً، ويبرز دورها في تقديم نموذج فريد من العلاقة بين الإنسان والإله، ولعل من أبرز محاور هذا الكتاب:

- تقديم الإمام بوصفه مبدأً وكياناً ميتافيزيقياً وروحياً:

ينظر كورين إلى الإمام الثاني عشر ككيان يتجاوز البعد التاريخي أو السياسي إلى ما هو أبعد من ذلك، فهو يُعدُّ رمزاً للحضور الإلهي المستمر في العالم، فالإمام في هذا السياق يؤدي دور الوسيط بين الله والإنسان، وهو ما يمنحه أهمية مركزية في البنية الروحية للفكر الإمامي، ويتجلى ذلك من تلك القصة التي حكاها عن (رولمان) الصوفي الألماني الذي رأى نوراً إلهياً باهراً كشف له عن الحقائق الروحية العميقة،

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ النبايع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كورين، مرجع سابق، ص ٣٠.

وهذا النور الإلهي يشير به إلى الإمام الغائب الذي يستمر تأثيره في العالم رغم غيابه الحسي عن الوجود^(١).

- مفهوم الغيبة والزمن الدوري^(٢):

يناقش كوربين مفهوم الغيبة الكبرى باعتبارها حالة روحية تتيح استمرارية التواصل بين الإمام وأتباعه عبر الزمن، فالزمن في الفكر الشيعي - كما يصفه كوربين - دوري وليس خطياً، مما يجعل انتظار الإمام فعلاً دينياً مستمراً يتعلق بالتجربة الداخلية للمؤمن.

٤. الإمام والمعرفة الباطنية (العرفان):

يربط كوربين بين الإمام الثاني عشر وحصول المعرفة الباطنية، حيث يُعتبر الإمام مرشداً عرفانياً وروحياً يفتح أبواب الفهم العميق للحقائق الإلهية، ويُظهر هذا الكتاب ارتباطاً وثيقاً بين العقيدة الإمامية والتقاليد الصوفية، لا سيما من خلال مفهوم الإمام كإنسان كامل، وهو ما يلتقي فيه مع ابن عربي^(٣)، ويربط كوربين بين الإمامة والمعرفة الباطنية تكرر في معظم مؤلفاته في التصوف الفلسفي كما سبق أن أشرت في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية)^(٤).

٥. الوساطة بين العوالم المرئية واللامرئية:

يبرز كوربين الإمام كقنطرة بين العالمين المادي والروحي، مما يعزز البعد الكوني للعقيدة الإمامية. ويعتبر الإمام من هذه النظرة ليس مجرد شخصية إلهية، بل يمثل نظاماً رمزياً يمكن من خلاله فهم العلاقة بين الإنسان والإله، وهذا ما يفسر قوله (إنَّ العالم الذي ولج إليه الشهود الذي ظهر عليهم الإمام الغائب هو عالم واقعي تماماً

(١) الإمام الثاني عشر، مشاهد روحية وفلسفية في الإسلام، هنري كوربين، دار الهادي، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص١٦٧.

(٢) انظر: الإمام الثاني عشر، مشاهد روحية وفلسفية في الإسلام، هنري كوربين، مرجع سابق، ص٩٣.

(٣) الإمام الثاني عشر، مشاهد روحية وفلسفية في الإسلام، هنري كوربين، مرجع سابق، ص١٩٢.

(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ النبايع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كوربين، مرجع سابق، ص٤٦، ٤٧.

وأكثر بدهاءة وتماسكاً واستقراراً في واقعيته الخاصة من العالم الواقعي التجريبي المدرك بالحواس، لقد التفت الشهود لاحقاً إلى أنهم كانوا هناك ولم يكن ذلك انفصاماً في الشخصية^(١)، فالنص يشير إلى وجود عالمين، عالم واقعي تجريبي مدرك بالحواس وهو العالم المادي، وعالم آخر واقعي أيضاً ولكنه لا يدرك بالحواس، وهو العالم الروحي، والإمام هو الوسيط بين العالمين.

٦. التأثير الصوفي والفلسفي:

يستعير كورين مفهوم الإنسان الكامل متأثراً بالتقاليد الصوفية الإسلامية، لتفسير الدور الروحي للإمام، كما يربط بين التشيع وبعض التيارات الفلسفية الأخرى، مع التركيز على البعد الروحي والباطني.

- بالإضافة إلى غيرها من المؤلفات التي قام به هنري كورين في مجال الفلسفة الإسلامية عامة والفكر الصوفي الإيراني خاصة، ومنها: حكمة الإشراق عند شهاب الدين السهروردي، وترجمة رسالة مؤنس العشاق للسهروردي، وكتاب (الملك البورفيرري)، وهو ترجمة لخمس عشرة رسالة للسهروردي بعضها بالعربية، وأغلبها بالفارسية، وترجمة رسالة (أصوات أجنحة جبرائيل) للسهروردي، وترجمة ثلاثة كتب إسماعيلية: كتاب (الينابيع) لأبي يعقوب السجستاني، ورسالة (المبدأ والمعاد) للحسين بن علي، و(بعض تأويلات جلشن راز)، لمحمود شبستري، وكتاب: الشيعة الإثنا عشرية، والخيال الخلاق في تصوف ابن عربي... إلخ، وقد جمع عبد الرحمن بدوي معظم مصنفات هنري كورين في موسوعته^(٢).

المطلب الرابع

أثر هنري كورين على دراسة التصوف الإسلامي المعاصر:

وتتضح معالم هذا التأثير، فيما يلي:

١- إعادة إحياء الدراسة الفلسفية للتصوف الشيعي والإيراني لدى المستشرقين:

قام هنري كورين بإعادة إحياء الدراسة الفلسفية للتصوف الشيعي والفارسي، نظراً إلى التوافق الكبير بين تناول الفلسفي والعرفاني، فمثلاً على سبيل المثال في الكلام

(١) الإمام الثاني عشر، مشاهد روحية وفلسفية في الإسلام، هنري كورين، دار الهادي، ط١،

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٥٣.

(٢) انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص٤٨٢: ٤٨٥.

على النبوة، نجد أن التناول العرفاني يحاكي التناول الفلسفي في تصور حقيقة النبوة، بحيث لا تكاد تجد اختلافًا سوى في إضفاء الصبغة العرفانية بدلًا من الصبغة الفلسفية، مع بعض التعديل كما تقتضيه الطريقة العرفانية^(١)... إلخ.

ولذا فقد أراد كوربين أن يوجّه الدارسين الغربيين إلى دراسة التصوف في التراث الشيعي وحده، وخاصة في إيران، متغافلا التصوف السني، وربط بين التصوف والتشيع كما فعل ماسينيون من قبل، حيث ربط بين ظهور لقب (صوفي) و(شخصية شيعية)، فيرى أن أول من لقب بالصوفي (جابر بن حيان) ١٩٦ هـ، وهو الكيميائي المشهور الشيعي، متناسيًا الحسن البنصري، كما ربط بين التصوف والكوفة التي تعد موطنًا للشيعية^(٢)... إلخ، على الرغم من أن الحسن البصري كان أشبه الناس بالإمام علي في زهده وورعه كما شهد الصوفية بذلك^(٣).

وقد كان كوربين من أوائل المستشرقين الذين درسوا الفلسفة الإشراقية والإسماعيلية عامة، ودرسوا شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي خاصة، وقدّم هذه الفلسفات كجزء لا يتجزأ من التصوف الإسلامي، واعتبر أن هذه الفلسفات تمثل جانبًا روحيًا عميقًا لا يمكن فهمه إلا من خلال التصوف.

فقد عمل كوربين إذن على الجمع بين الفلسفة الإشراقية والصوفية، أو بين الفلسفة الإشراقية التي أسسها السهروردي والتصوف الشيعي، مشيرًا إلى أن الفلسفة الإشراقية

(١) الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية، يحيى محمد، دار الهادي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٧٤.

(٢) قراءة التصوف الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية، ماسينيون نموذجًا، رسالة ماجستير، إعداد: محمود عبد الرزاق حسن محمود، إشراف: د/ عبد الكريم عبد الله بالقاسم، جامعة بن غازي، كلية الآداب، قسم الفلسفة، عام ٢٠١٢م، ص١٠٥، ومما يؤكد ذلك قول هنري كوربان: "سوف نذكر بالمقابل بأن جابر بن حيان - الكيميائي الشهير - تلميذ الإمام جعفر الصادق، بحسب تقليد ثابت، لا شيء يؤكد بصورة حاسمة، قد دُعي منذ الأصل بالصوفي"، انظر: الشيعة الاثنا عشرية، هنري كوربين، ترجمة: ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٠٥.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع، (العناصر الشيعية في التصوف)، كامل الشيبلي، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص٣١٠.

جزء لا يتجزأ من التصوف الإيراني، وكان يرى أن التصوف الشيعي والفلسفة الإشراقية يشتركان في البحث عن "النور الإلهي" سيرًا في طريق العرفان وصولاً إلى الإشراق وفيض النور الإلهي على الأنفس بعد تجردها.

ولقد قدم كوربين تصوف الشيعة كمدخل أساسي لا غنى عنه لفهم التراث الروحي الشيعي بأكمله، مشددًا على الرمزية - التي لمحناها كثيرًا لدى السهروردي - المرتبطة بعلاقة الإنسان مع العالم الروحي، والبعد الميتافيزيقي العميق في الفكر الفلسفي الشيعي والإيراني.

ورأى كوربين أن التصوف الشيعي لا يمكن -بأي حال- فصله أو إبعاده عن العقائد الشيعية العامة، خاصة تلك العقائد المتعلقة بمسألة الإمامة لدى الإسماعيلية خاصة، فقد كانت اهتماماته مركزة على الفكر الشيعي الإسماعيلي وفلسفاته الروحية.

- وفيما يتعلق بمسألة الإمامة في الفكر الصوفي الشيعي والإسماعيلي عند كوربين، نجد أنه ربط بين المفهومين ربطًا وثيقًا، أي بين (الإمامة والتصوف)، فالإمامة ليست فقط مجرد مؤسسة سياسية أو قيادة دينية، بل لها أبعاد صوفية وروحية عميقة، "والإمامة في تمامها هي المعرفة المزدوجة بالظاهر والباطن"^(١)، والإمام، في رأيه، يمثل الوسيط الروحي بين الإنسان والعالم الإلهي، وهو منبع العرفان، وهو المرشد الروحي الذي يقود المؤمنين نحو الفهم الصوفي للحقيقة، أو هو الإنسان الكامل كما يرى ابن عربي، وقد توسع هنري كوربين في بيان هذه الفكرة في كتابه (الإمام الثاني عشر)، وبعد أن ساق عدة نصوص أتبعها بقوله: "إن هذه النصوص التي يمكن إيراد الكثير منها تشهد على اليقين الذي به يدرك التراث الشيعي في أقوال النبي نفسه ما يشكل ماهية قوله في النبوة والإمامة، توازن التفسيرين، توازن الظاهر والباطن، توازن النبوة والولاية، توازن رسالة الأنبياء في كشف الظاهر والهيبة اللدنية للأئمة في الهدى إلى الباطن"^(٢)... الخ.

(١) في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية، الشيعة الإثنا عشرية، هنري كوربان، ترجمة: د/

نوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٧٠.

(٢) الإمام الثاني عشر، هنري كوربين، مرجع سابق، ص ٥٣.

وهذه الإسهامات التي قدمها كوربين كان لها تأثير كبير على الباحثين في الدراسات الصوفية الحديثة، بفضل مقارنته الفلسفية والرمزية، ففتح بذلك أبوابًا لمجالات جديدة للدراسة، مثل دراسة الرمزية الصوفية، والفلسفة الروحية في الفكر الإسلامي.

٢ - تطويره لمفهوم "العالم المتخيل":

قام هنري كوربين بتطوير مفهوم العالم المتخيل، وهو ذلك العالم الوسيط بين العالم المادي أو المحسوس والعالم الروحي الخالص، أي عالم التمثلات والأفكار والصور، أو عالم السحري اللطيف، والعالم الذي تتجسد فيه الأرواح، وتتروح فيه الأجساد^(١)، وهو أيضًا "الوسيط السحري بين الفكر والوجود وتجسيد الفكر في الصورة، وموقع الصورة في الوجود"^(٢)، أو هو "الخيال باعتباره قوة سحرية خلاقة يمنح الوجود للعالم المحسوس"^(٣)، ولقد أحدث هذا المفهوم ثورة في الفكر الفلسفي والصوفي من بعده، وأسهم في فهم التصوف كعملية اتصال بين الإنسان والعالم الروحي من خلال التأمل والخيال الصوفي.

فقد اعتبر كوربين أن هذا العالم ليس مجرد خيال، بل هو واقع حقيقي يمكن للصوفي أن يصل إليه ويتصل به من خلال تجربته الصوفية والروحية، ويمكننا اعتبار هذا المفهوم توسيعًا لفهمنا للعلاقة بين المادي والروحي في التصوف الإسلامي. كما قدّم كوربين فهمًا أوسع للعلاقة بين الروحية الإسلامية والروحانيات الأخرى، خصوصًا من خلال مفهوم "العالم المتخيل" الذي يمكن أن يجد له صدى في فلسفات غربية وشرقية أخرى.

فقد لاحظ كوربين أن التصوف الشيعي يعتمد بشكل كبير على الأحلام والرؤى والمنامات أو أنه يعتمد على المخيلة، كوسيلة للتواصل مع هذا العالم الروحي، ومن خلال هذه المخيلة يمكن للمتصوفين أن يحصلوا على معرفة روحية تتجاوز الحدود الظاهرية للعالم المادي، فالمخيلة هي ملكة بين الإدراك الحسي والتعقل الخالص

(١) الخيال الخلاق عند ابن عربي، هنري كوربين، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات مرسوم، الرباط، ٢٠٠٦م، ص١٥٧، بتصرف يسير.

(٢) الخيال الخلاق عند ابن عربي، هنري كوربين، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٣) الخيال الخلاق عند ابن عربي، هنري كوربين، مرجع سابق، ص١٥٩، ١٦٠.

للمعقولات، وبها يُدرك عالم المثل والمغيبات^(١)، يقول هنري كورين عن الشيخ أحمد الإحسائي - أحد شيوخ الشيعة: يمكن القول أن الشيخ أحمد ومنذ مطلع شبابه استكمل في ذاته اعتقاده الباطني بالإمامة، وبالأسس الذي تقوم عليه معرفة الإمام، وهذه هي العقيدة التي قامت عليها مبادؤه وآراؤه... كان ثمة عدد من المنامات الظهورية هي التي مهدت الأرضية لتلك المشاهدات الباطنية واللقاءات^(٢)... إلخ.

وقد طور كورين مفهوم العالم المتخيل ليشمل التصوف والفلسفة على حد سواء، ففي فلسفة السهروردي والإسماعيلية، نجد أن العالم المتخيل هو ذلك الفضاء الذي تتجسد فيه الرموز الروحية والأفكار الفلسفية، وهو ما جعل كورين يقدم هذا المفهوم كعنصر لا غنى عنه لفهم التجربة الصوفية في التصوف الشيعي والإيراني.

ولقد أحدث هذا التطوير في المفهوم تأثيراً كبيراً على الدراسات الصوفية والروحية، فأتى بشكل كبير على الفلاسفة والمفكرين المعاصرين الذين يدرسون تلك التجارب الروحية، كما أعاد تشكيل الرؤية الأكاديمية حول "العوالم الداخلية" التي يدخلها الصوفيون من خلال ممارساتهم.

٣- البعد الفلسفي للتصوف:

لم يكن هنري كورين مهتماً فقط بالتصوف كظاهرة دينية، بل تعامل مع التصوف كظاهرة فلسفية أيضاً، فقد كان أسلوبه يعتمد بشكل كبير على الفلسفة الظاهراتية التي استلهمها من هايدغر خلال زيارته لألمانيا وقراءته لكتبه، وهذا ما جعله ينظر إلى التصوف على أنه تجربة وجودية شخصية وفلسفية.

ولقد دمج كورين بين الفلسفة الغربية والروحانية الإسلامية، وقدم التصوف كطريق لتفسير الوجود والعلاقة بين الإنسان والإله، وكان يرى في التصوف نوعاً من الفلسفة الروحية التي تقدم إجابات عن أسئلة ميتافيزيقية تتعلق بالوجود والمعرفة.

وتناولته للتجربة الصوفية كظاهرة فلسفية كمسعى فلسفي للوصول إلى الحقيقة الإلهية من خلال التأمل الروحي، وأعاد تعريف كيفية فهم التجارب الروحية وأهميتها الفلسفية،

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كورين، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) انظر: نظرة فيلسوف في سيرة الشيخ الإحسائي والسيد الرشتي، د/ هنري كورين، ترجمة: خليل

زامل، إعداد: راضي ناصر السلطان، مؤسسة فكر الأوجد، دمشق، ط ٢، ١٤٢٥هـ، ص ٦٠.

مما أثر في مفكرين مثل جيل دولوز وميشيل فوكو الذين استلهموا بعضًا من أفكاره في مجال الفلسفة المعاصرة، وفتح الباب لهم ولغيرهم من الفلاسفة والمفكرين لتفسير التصوف بطرق جديدة تجمع بين الروحي والفلسفي.

ومما يؤكد هذا البعد الفلسفي للتصوف عند هنري كوربين أنه يرى أن يرى اتفاق كل من الأنبياء والأئمة المعصومون والفلاسفة في إدراك المغيبات، ولكن مع اختلاف في قدر ما يمكن إدراكه، وكذلك اختلاف طرق الإدراك والوصول، "الفيلسوف لا يرى الملاك ولكنه يعقل بواسطته وعلى قدر طاقته، أما الأئمة والأولياء فيسمعون سمعًا روحيًا، وأما الأنبياء فيبصرونه، وهذه المقارنة التي نجدها عند الملاصدرا وعند آخرين سواء ترجع إلى ظاهرة المرايا، فثمة حجاب بين مرآة القلب واللوح المحفوظ التي تقشت فيه كل الأشياء، وتجلي العلم الصادر عن مرآة اللوح المحفوظ في المرآة الأخرى، أي مرآة أخرى قبالتها، وهذا الحجاب الذي يحجب ما بين المرأتين يرتفع في النهاية، إما لأن يداً أزاحته (جهد الفيلسوف)، وإما بسبب هبوب الريح، وقد يحدث أن يهب نسيم الألفاف الإلهية، فيتكشف الحجاب من أمام عين القلب"^(١).

٤ - البحث عن الكينونة الحقيقية:

التصوف الإسلامي، كما يراه كوربين، يسعى لفهم "الوجود الحقيقي"، الذي لا يمكن إدراكه من خلال العقلانية الخالصة أو الفلسفة المادية، ذلك لأن الصوفي يسعى للاتصال بالكينونة الحقيقية من خلال التجربة الروحية، أو إدراك حقيقة الوجود الإنساني نفسه عن طريق الوصول للمعنى الحقيقي للوحي^(٢)، والوصول إلى الحقيقة هو المنتهى والغاية الذي يصل إليه الصوفي، وهذا ما أكده سيد حسين نصر، أحد تلامذة هنري كوربين، حيث يرى أنّ الحكماء الإسلاميين وخاصة أهل التصوف يرون أن هناك ثلاثة مراتب يتكون منها الدين الإسلامي - غير مرتبة الإسلام والإيمان والإحسان - وهذه المراتب هي: (الشريعة والطريقة والحقيقة)، والحقيقة لا تمثل الغاية فحسب، بل تمثل أيضًا المنطلق والمبدأ للمرتبتين الأوليين (الشريعة والطريقة)، وعليه فالإسلام في نظرهم

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربين، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوربين، مرجع سابق، ص ٦٧.

كالدوائر، مركزها الحقيقة، وأشعتها الطرق التي تعبر عن طرق الصوفية، ومحيطها الشرعية، وكل مسلم يمثل نقطة في ذلك المحيط الذي يمثل مجموعات الأمة الإسلامية^(١)...إلخ.

٥ - إعادة توجيه الاستشراق:

ساهم كوربين في تغيير النظرة التقليدية للاستشراق، حيث ابتعد عن المنهج الاستشراقي القائم على النقد والتفكيك للتراث الإسلامي واتجه نحو تقديم رؤية مفهومة ومتعاطفة مع الروحانية الإسلامية.

ورفض كوربين الفصل التقليدي بين العقلانية والروحانية في الفلسفة الإسلامية، واعتبر أن التصوف الشيعي يتعامل مع العقل والروح ككيانين متكاملين يسعيان نحو الوصول إلى المعرفة الإلهية.

كما انتقد الاستشراق التقليدي، وهو ذلك النهج المادي والعقلاني الذي اتبعه العديد من المستشرقين في دراستهم للتصوف، فقد كان يرى أن هذا النهج يغفل الأبعاد الروحية والرمزية للتصوف، ويدعو إلى دراسة التصوف من منظور فلسفي وروحي.

- ذكر هيرمان لاندولت في بحثه (هنري كوربين بين الفلسفة والاستشراق)^(٢)، أن أعمال هنري كوربين - التي قدمها في الفلسفة الإسلامية والثقافة الإيرانية - تتضمن نقدًا أساسيًا للاستشراق والمستشرقين، انتصارًا للتصوف الإسلامي، اتفاقًا مع إدورد سعيد، رغم اختلاف طبيعة النقد بينهما، ذلك لأن كوربين كان مستشرقًا وفيلسوفًا فرنسيًا اهتم بدراسة التصوف والفكر الشيعي الإسماعيلي والإيراني، وساهم في إعادة تعريف رؤية الغرب للتصوف والفكر الإسلامي بشكل عام.

بل يرى لاندولت أن من الواجب علينا أن نفهم أن أعمال هنري كوربين واهتماماته طيلة حياته كانت منصبة على إعطاء الفلسفة "الشرقية" مكانتها اللائقة، وذلك جزئيًا

(١) انظر: قلب الإسلام، قيم خالدة من أجل الإسلام، سيد حسين نصر، مرجع سابق، ص ٦٩.

(2) Henry Corbin.1903-1978: Between Philosophy and Orientalism Author(s): Hermann Landolt Reviewed work(s): Source: Journal of the American Oriental Society, Vol. 119, No. 3 (Jul. - Sep., 1999), pp. 484-490 Published by: American Oriental Society Stable.

كرد فعل على هذا التصور الغربي و"الاستشراقي" النموذجي للأشياء. وكما لاحظ محسن مهدي، "تميز كوربين عن أغلب معاصريه بالجهد الذي بذله للتفكير تاريخياً وفلسفياً في التعامل مع الفلسفة الإسلامية". وهو التمييز الذي جعله، كما أضاف الأستاذ مهدي، عرضة لـ"واحدة من أغرب الانتقادات" من جانب "بعض ممثلي التقاليد التاريخية واللغوية الأقدم للدراسات الإسلامية في الغرب"^(١)، كما يرى أن تأثيره في التصوف الإسلامي المعاصر يتمثل في:

١- فلسفة الخيال الإبداعي: حيث قدم مفهوم "الخيال الإبداعي" باعتباره عنصراً مركزياً لفهم التجربة الصوفية والروحانية في الإسلام. كما يرى كوربين أن الخيال يلعب دوراً في تحقيق التواصل مع العوالم الروحية، وهو ما أثر في الكثير من الدراسات التي تلت أبحاثه عن التصوف الإسلامي المعاصر.

٢- التركيز على الفكر الشيعي: حيث يرى لاندولت أن إسهامات كوربين الرئيسية سلطت الضوء على الأبعاد الصوفية والباطنية في الفكر الشيعي، وخاصة التقاليد الإسماعيلية والعرفانية، وهو ما فتح مجالات جديدة لفهم أعمق للروحانية الشيعية وربطها بجوانب التصوف السني.

٣- الرمزية والعوالم الروحية: حيث أكد كوربين على أهمية الرمزية في فهم التصوف الإسلامي، وأشار إلى وجود "عوالم وسيطة" بين العالم المادي والعالم الإلهي، وهو ما أثري الدراسات اللاحقة وجعلها تركز على العناصر الرمزية في النصوص الصوفية.

٤- تقديمه نظرة تفصيلية عن التجارب الصوفية وكيفية فهمها من منظور فلسفي وروحاني، وهو ما أثر في الأكاديميين والباحثين الذين درسوا التصوف بعده، بما في ذلك تحليل نصوص محي الدين بن عربي وفلاسفة ومتصوفة آخرين.

٥- إعادة اكتشاف التراث الإسلامي: فقد ألقت أبحاث كوربين الضوء على التراث الروحي في الإسلام بوصفه تراثاً حياً، وليس مجرد تاريخ أو تقليد قديم. هذا المنظور أسهم في إعادة تقديم التصوف كجزء من التجربة الإنسانية المستمرة.

(1) Muhin Mahdy, Orientalism and the study of Islamic philosophy, Journal of Islamic studies, 1, 1990, 93.

المطلب الخامس فلاسفة تأثروا بهنري كوربين

يمكننا أن نلمح تأثير هنري كوربين على العديد من دارسي التصوف من بعده، أولئك الذين أثروا التصوف الإسلامي بالبحث والدراسة، ومنهم على سبيل المثال، كريستيان جامبي، بيير لوري، ميشال شودكيفيتش، ويليام شيتك، جيمس موريس، بيتر كوزنسكي، ونريد في هذا المطلب أن نقف مع واحد من أبرز هؤلاء الفلاسفة، ألا وهو سيد حسين نصر.

سيد حسين نصر^(١):

يعدُّ سيد حسين نصر واحدًا من أشهر الفلاسفة الذين تتلمذوا على المستشرق هنري كوربين، خاصة مع نشأته في إيران مجاورًا لأستاذه، وقد ظهرت ملامح هذا التأثير من خلال ما يلي:

- ١- التركيز على التصوف الباطني، فقد كان نصر يرى - كأستاذه- أن التصوف يمثل جوهر الفهم الباطني للإسلام، والذي يعكس علاقة الإنسان بالله من خلال المعرفة الروحية الداخلية وليس فقط الفقه والشريعة، وعليه فقد تركزت كل جهوده على الجانب الباطني أو البعد الروحاني للإسلام.
- ومما يدل على ذلك تلك المصنفات التي خلفها في التراث الصوفي الباطني، كتابه: (ثلاثة حكماء مسلمين: ابن سينا، السهروردي، وابن عربي)، و (صدر الدين الشيرازي والحكمة المتعالية)، و (صورة العلم القدسي)، و (الصوفية بين الأمم واليوم)... إلخ.

(١) وُلِدَ سيد حسين نصر عام ١٩٣٣ في إيران، وهو فيلسوف إسلامي بارز، وهو مؤرخ متخصص في الفلسفة والتصوف والفكر الإسلامي. نشأ في بيئة علمية وروحية في إيران، حيث تأثر بشخصيات دينية وفكرية بارزة قبل أن يواصل تعليمه في الغرب، حيث حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد. ومنذ ذلك الوقت، أصبح واحدًا من أشهر الفلاسفة تأثيرًا في الفلسفة الإسلامية، مع اهتمام خاص بالتصوف الفلسفي الإسلامي وعلاقته بالدين والعلم، وأصبح معروفًا على مستوى العالم بكتبه ومقالاته الغزيرة التي تقدم أطروحات جديدة في الفلسفة الإسلامية، وتتضمن فلسفة سيد حسين نصر نقدًا بارعًا للحدائثة وما بعد الحدائثة وتأثيرهما على روح الإنسان المعاصر في علاقته بالوعي والطبيعة والمقدس والسعادة. (ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة: عمر نور الدين، دار آفاق، ٢٠٢٤م، مقدمة الناشر).

- فقد دلت هذه الكتب بعناوينها ومضامينها على عنايته واهتمامه بالتصوف الباطني، ومن ذلك ما ورد في كتابه (ثلاثة حكماء..) أنه قال: اخترنا للبحث ثلاثة من أعظم الحكماء المسلمين شهرة، هم: ابن سينا، والسهورودي، وابن عربي، أملين أن تتضح من خلالهم وجهات نظر ثلاثة مذاهب عقلية مهمة، هي مذهب الفلاسفة العلماء والإشراق والتصوف... ومع أن مذاهبهم ليست الوحيدة التي نشأت في الإسلام، إلا أنها تُعتبر من أعظم المذاهب التي نشأت في هذه الحقبة الباكرة، وهي تبرز بالجملة مظهرًا بارزًا من مظاهر العقل الإسلامي، وتكشف آفاقًا حددت أشكال الحياة العقلية لدى كثير من عظماء حكماء الإسلام^(١)، ولا شكَّ أنَّ اختيار هنري كوربين قد وقع على هذه الشخصيات الثلاثة لانتمائها إلى الفكر الإسماعيلي الباطني، وهذا واضح بالنسبة لابنا سينا والسهورودي، أما ابن عربي فإن هنري كوربين يرى أنه متفق أيضًا مع الحكمة الإسماعيلية والاثني عشرية^(٢).

- ليس هذا فحسب بل إنَّ البعد الباطني في التصوف - كما يرى نصر - هو سبيل التقريب بين السنة والشيعة، وبسبب عوامل الوحدة ومن أهمها البعد الباطني في التصوف فإن الانقسام والاختلاف بين السنة والشيعة لم يؤثر كثيرًا على وحدة المسلمين، فالتصوف يمثل البعد الباطني للدين، وهو فوق هذين القسمين - السنة والشيعة - من المذاهب الفقهية، ولذا يقول نصر: "إن تبعية السنة والشيعة للتصوف ليست تبعية ظاهرية، بل إنَّ الشيعة يشتركون مع المتصوفة في عقيدتهم بالرسالة الباطنية للنبي وبالولاية، ورغم صعوبة المسألة إلا أن يكفي أن نقول أن التصوف هو البعد الباطني للإسلام، وهو فوق الاختلافات الموجودة في الشريعة"^(٣).

٢- التأويل الباطني للنصوص: فقد أخذ نصر عن كوربين فكرة أن النصوص الإسلامية تحمل في طياتها معانٍ باطنية تتجاوز التفسير الظاهري، مما يتطلب فهمًا أعمق

(١) ثلاثة حكماء مسلمين، سيد حسين نصر، دار النهار للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، المقدمة، ص١٩.

(٢) مفهوم الفلسفة الإسلامية في استشراف هنري كوربين، زهير بن كتفي، مجلة الجمعية الفلسفية، مج٢٢، عدد ٢٢، ٢٠١٣م، ص١٢٢.

(٣) قلب الإسلام، قيم خالدة من أجل الإنسانية، السيد حسين نصر، تعريب داخل الحمداني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص٧٢.

من خلال تأملات صوفية وفلسفية، وذلك لأن "البعد الباطني له في مكان قلب الإسلام، وهو سر تجدهه وبقائه"^(١)، وبالتالي فلا غنى عنه لفهم الدين فهما عرفانياً حقيقياً كما يرى سيد حسين نصر.

ويرى بعض الباحثين أنه إذا كان كورين يرى أن للقرآن ظاهراً وباطناً فمن هنا فإنه يرى أن العلاقة بين النبي والولي هي علاقة التقائية؛ لأن الشريعة التي أتى بها النبي لها معنى ظاهر، ومعنى باطن، وأن الولي هو المؤمن على المعنى الباطن، الذي هو المعنى الحقيقي للشريعة^(٢)... إلخ.

ويشير جولدتسيهر إلى طريقة أهل التصوف الفلسفي في التأويل الباطني، فيقول: وهم في تأويلهم للكتاب يعتقدون أن هناك وراء المعنى الحرفي للآيات - وهو معنى لا أهمية له في الظاهر - حقائق فلسفية عميقة تستخلص بالتفسير المجازي... وهو تأويل باطني للكتاب، ويرى جولدتسيهر أنهم لكي يضيفوا على هذه التأويلات الباطنية مسحة سنية شرعية من وجهة النظر الإسلامية أخذوا عن الشيعة المذهب القائل بأن محمداً أفضى لوصيه علي بالمعنى الباطني لآيات الكتاب المنزّل^(٣)، ويرى الدكتور عبد اللطيف العبد أن بعض التفسيرات التي قدمها الصوفية ليست صحيحة؛ لأنهم لم يقدموا قرينة أو دليلاً على تأويل معين^(٤).

٣- التركيز على الفلسفة الشيعية: فقد صبَّ نصر جُلَّ اهتمامه على الفكر الشيعي والفلسفة الإيرانية كأستاذه كورين، وعمل على تعميق دراساته حول الروحانية الشيعية، خصوصاً في التراث الإسماعيلي والإثنا عشري، وقد ساعده على ذلك وجوده في إيران - معقل الفلسفة الشيعية - وإتاحة الفرصة للاطلاع على كافة المصادر الشيعية، ويضاف إلى ذلك ميله إلى المذهب الشيعي واعتناقه وإظهاره

(١) قلب الإسلام، قيم خالدة من أجل الإنسانية، السيد حسين نصر، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢) هنري كورين ومنهجه في الدراسات الإسلامية، حنان علي محمد أحمد، باحثة دكتوراة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ص ١٤٩٥.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٥٧.

(٤) التصوف في الإسلام، د/ عبد اللطيف العبد، دار الهاني للطباعة والنشر، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م، ص ١٢٤.

باعتباره المذهب الذي يمثل حقيقة الإسلام، خاصة في كتابه: (ثلاثة حكماء مسلمين) حيث يناقش فيهما شخصيتين منتسبتين إلى المذهب الشيعي، وهما ابن سينا والسهورودي^(١)، وأما الشخصية الثالثة (ابن عربي) فعلى الرغم من كونه غير منتسب للمذهب الشيعي إلا أن نتاج الفكر الفلسفي والصوفي عنده ينتمي إلى الفلسفة الشيعية ومدرسة إخوان الصفا أكثر من أي مدرسة أخرى، وقد ظهر ذلك الانتصار للمذهب الشيعي أيضا لدى نصر من خلال كتابه: (مقدمة إلى العقائد الكونية في الإسلام)، حيث يعرض فيه التنوع المذهبي داخل الإسلام، ويولي الفكر الشيعي أهمية خاصة، ويبراه ممثلاً حقيقياً للإسلام كما هو أو كما ينبغي أن يكون، ولذا فهو يقول في خاتمة ذلك الكتاب: "وكان إخوان الصفا والبيروني وابن سينا من أكثر مؤلفي هذه الفترة نشاطاً وإثماراً، وتمتعوا بأهمية خاصة ليس بسبب تأثيرهم الواسع فحسب، بل ولأنهم جميعاً يمثلون وجهات النظر الهامة التي برزت واتبعت في دراسة العلوم الكونية الإسلامية، لهذا فإن من يدرس عقائدهم فإنه يجد فيها معظم الأفكار الأساسية التي تشكل العقائد الكونية الإسلامية كما هي"^(٢)، ومن الملاحظ أن نصر لا يريد التركيز فحسب على نبوغ هؤلاء العلماء في العلوم الكونية، بل أراد التركيز أيضاً على جانب العقيدة والمذهب الشيعي وإبرازه لدى هؤلاء الفلاسفة والمفكرين، وإعادة إحياء التراث الصوفي الفارسي على اعتبار أن الفلسفة الفارسية تمتلك تقاليد صوفية وفلسفية عميقة يجب إعادة إحياء تراثها من خلال نشر وترجمة ودراسة النصوص الصوفية الفارسية.

٤- الدفاع عن التصوف ضد الاتجاهات المادية: ففي سياق النقاش حول الإسلام الحديث، كان نصر من أبرز المدافعين الأقوياء عن التصوف كسبيل لمواجهة الاتجاهات المادية والعلمانية الحديثة التي تهدد الروحية.

(١) وقد اهتم نصر بالفيلسوف الصوفي شهاب الدين السهروردي، مؤسس المدرسة الإشراقية، تلك المدرسة التي تمزج بين التصوف والفلسفة، وقد كان السهروردي أحد هؤلاء المفكرين الذين ربطوا بين المعرفة الروحية والإشراق الإلهي، وهي فكرة أساسية في عمل نصر.

(٢) مقدمة العقائد الكونية الإسلامية، د/ سيد حسين نصر، ترجمة: سيف الدين القصير، مطبعة

فقد كان يرى أن التصوف يمكن أن يقدم حلاً للأزمات الروحية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية والغربية على حد سواء، هذا يتماشى مع رؤية كورين الذي كان يرى أن التصوف يمثل جسراً بين العقلانية الغربية والروحانية الشرقية، وفي كتابه "العلوم في الإسلام" يبرز نصر أهمية الروحانية والتصوف في الإسلام كجزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية، ويبين مدى امتزاج العلوم الكونية بالعلوم الروحانية جنباً إلى جنب، بما يعكس مدى تأثره بفكرة كورين حول أن التصوف هو عنصر محوري في الفكر الإسلامي وليس مجرد علمٍ مستقلٍ بذاته أو منغلقٍ على نفسه، فهو يقول: ولقد فحص حكماء المسلمين الكونيات الإسلامية في أبحاثٍ عديدة معتمدين في بعض الأحيان على علم القرآن وحده، وفي أحيان أخرى يضمنون في كتاباتهم بعض علوم الكونيات المستمدة من تقاليد أخرى تتفق مع النظرة الإسلامية، ويظهر هذا خاصة في كتابات ابن عربي، الذي كان كالبحر تنصبُّ فيه أنهار الفيثاغورية والأفلاطونية والهرمسية فتختلط فيه اختلاطاً كاملاً بالعلوم الباطنة الإسلامية الصرفة، بحيث كانت رموز الحروف العربية وآيات النجوم والرموز العددية وعلم أسماء الله الحسنى تمتزج كلها في النموذج للوحدة تتميز به العبقورية التأليفية لهذا العلامة الفذ في المعرفة اللاهوتية الإسلامية^(١).

٥- التصوف والتعددية الدينية: تعدُّ فكرة التعددية الدينية ووجود حقائق روحية مشتركة بين الأديان - واحدة من النقاط التي تأثر بها نصر بكورين، حيث كان كورين يرى أن التصوف يفتح أبواب التفاهم بين الأديان من خلال التركيز على التجربة الروحية المشتركة، ويبدو ذلك جلياً في كتاب (قلب الإسلام، قيم خالدة).

الخاتمة:

هنري كوربين (Henry Corbin) يعتبر أحد أكثر الشخصيات الفلسفية تأثيراً في دراسة التصوف الإسلامي في العصر الحديث، وإننا لنلاحظ ذلك من خلال الوقوف

(١) العلوم في الإسلام، سيد حسين نصر، ترجمة: مختار الجوهري، دار الجنوب للنشر، تونس، ط١،

على منهجه الفلسفي الرمزي في تحليل النصوص الصوفية لدى أئمة التصوف الفلسفي كالسهروردي وابن عربي وغيرهما.

وقد أحدثت إسهاماته تحولًا كبيرًا في الطريقة التي يُنظر بها إلى التصوف في الأوساط الأكاديمية الغربية، ذلك لأن تأثيره كان متشعبًا ومتجذرًا في أعماق التصوف الفلسفي، ولعلّ من أهم الإسهامات التي قدمها هنري كوربين هي محاولة استكشاف التصوف الإسلامي من منظور جديد، ألا وهو المنظور الفلسفي والروحاني، بعيدًا عن النظرة التقليدية التي اعتادها الغرب عن التصوف في مراحلها الأولى، وهو التصوف السني المتأثر بالقرآن الكريم والسنة النبوية، البعيد كل البعد عن النظريات الفلسفية، أما الفكر الصوفي عند كوربين فلم يكن مجرد تأملات للتجارب الصوفية السنية بمقاماتها وأحوالها التي عرفت عن هؤلاء الصوفية، بل خاض في أعماق التصوف الفلسفي الذي يربط بين الفلسفة والتصوف والتشيع، لينتج لنا نتاجًا فكريًا جديدًا، ويُظهر علاقة جديدة بين الإنسان والعالم الروحي، كما اهتم كوربين ببيان كيفية تأثير التصوف في بناء الفكر الإسلامي خاصة في إيران وفي المناطق الشيعية.

ويمثل هنري كوربين ظاهرة فريدة في أوساط الاستشراق بشكل عام، ويتبين ذلك لنا حينما نعرف أن معظم المستشرقين - كما يرى إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق - قد تعاملوا مع الشرق كـ"عالم آخر" ثابت وغير قابل للتغيير، ولعل هذه النظرة قد اختزلت الشرق إلى مجرد كائن متخلف وذو طابع غريب؛ لتبرير الهيمنة عليه، ويرى أن الاستشراق يستطيع أيضًا أن يعبر عن قوة الغرب وضعف الشرق، من وجهة نظر الغرب، بصورة بالغة التزييف...^(١)، وليس ذلك فحسب بل يرى أن الاستشراق كان جهازًا ثقافيًا ينحصر في العدوان وإصدار الأحكام وفرض الحقائق والمعرفة، وكأن الشرق قد وجد من أجل الغرب...^(٢)، لكن، هنري كوربين لم يتبع هذه المقاربة

(١) الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، إدورد سعيد، ترجمة: د/ محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع،

٢٠٠٦م، بتصرف يسير، ص ١٠٤.

(٢) الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، إدورد سعيد، ترجمة: د/ محمد عناني، مرجع سابق، ص

السطحية. بل كان يسعى إلى الغوص في الأعماق الروحية للفكر الصوفي، معتبراً التصوف عملية فلسفية وعقلية غنية تعكس ارتباط الإنسان بالعوالم الروحية والميتافيزيقية.

ويرى أن التصوف ليست مجرد تعبير عن العزلة والانقطاع عن ذلك العالم المادي المحسوس، بل هو بخلاف ذلك، فهو رحلة للتواصل مع المعرفة العليا، والعوالم الأخرى، وهو ما يتقاطع مع مفاهيم العالم المتخيل، أو مفهوم الخيال الخلاق التي تناولها كوربين في أعماله متأثراً بابن عربي.

وبالمجمل، فقد كان كوربين - بهذا التصور المذكور - حالة خاصة بين المستشرقين؛ ذلك لأنه جمع بين التحليل الفلسفي والتصوف الإسلامي، في حين أن المستشرقين الآخرين غالباً ما اختزلوا الشرق في صورة سلبية، وقاموا بنقل النظرة الاستعمارية إليه، وفي هذا الإطار، يمكن القول إن كوربين كان بمثابة جسر بين الفكر الغربي والتصوف الإسلامي، وقد جلب للغرب فهماً أعمق وأقل سطحية للروحانية الشرقية.

فتأثير هنري كوربين على دراسة التصوف الإسلامي - خاصة في أوروبا - في العصر الحديث لا يقتصر على كونه مجرد باحث في التراث والفكر الصوفي الإسلامي، بل يكمن في تلك المنهجية الفلسفية العميقة التي أعادت التفكير في طريقة دراسة التصوف كظاهرة روحانية وفلسفية تتجاوز حدود الدين الإسلامي إلى آفاق فلسفية أخرى تتفق أو تختلف مع تعاليم الدين الإسلامي، وذلك من خلال إعادة اكتشافه للتصوف الشيعي والإيراني والفارسي، وتطويره لمفهوم "العالم المتخيل"، وتقديم التصوف كحركة فلسفية وروحية، وهو بذلك قد أحدث تحولاً جذرياً في الطريقة التي يتم بها دراسة التصوف في العصر الحديث.

وعمل كوربين على إعادة تقديم الفكر الصوفي الشيعي والفارسي الإيراني للأوساط الأكاديمية الغربية، فعمل على كسر التصورات النمطية التي عرفت عن التصوف الشيعي كحركة باطنية مغلقة وقدمها باعتبارها فكراً روحانياً وفلسفياً متكاملًا، ولذا فقد ركز جهوده على دراسة شيخ الإشراق السهروردي وملاً صدرا وابن عربي، كما حرص على أن يقدم العديد من المفكرين الإيرانيين إلى الأوساط الأكاديمية الغربية، مشيراً إلى

أن هؤلاء الفلاسفة الصوفيين قدموا رؤى عميقة حول العلاقة بين العالم المادي والروحاني، وأنشأوا جسرًا يؤسس لوجود علاقة واضحة بين العالمين.

ومما يؤخذ على هنري كوربين أنه حاول اختزال التصوف الإسلامي في صورته العرفانية الفارسية المتأثرة بالعقائد الشيعية، وربط التصوف بهذه العقائد كالإمامة والظاهر والباطن وغيرها من عقائد الشيعة الإمامية والإسماعيلية.

ونراه يسلط الضوء على أعلام التصوف الفارسي والإيراني باعتباره النموذج الوحيد أو النموذج الأمثل الذي يجب احتذاؤه في دراسة التصوف، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انتمائه إلى المذهب الشيعي وإيمانه به وتفضيله له على سائر المذاهب الإسلامية الأخرى.

المصادر والمراجع

- ١- الإمام الثاني عشر، مشاهد روحية وفلسفية في الإسلام، هنري كوربين، دار الهادي، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- ٢- الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي، مصادره وآثاره، تحليل ونقد، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، د.ت.
- ٣- تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ الينايع الأولى حتى وفاة ابن رشد)، هنري كوربين، نصير مروة/ حسن قبيسي، مراجعة وتقديم: موسى الصدر، عويدات للنشر، بيروت/ لبنان، ط ٢، ١٩٩٨م.
- ٤- التصوف الإسلامي دراسته، مصادره، موضوعاته، الدكتور حامد طاهر، ط ١، ١٩٨٥.
- ٥- التصوف في الإسلام، د/ عبد اللطيف العبد، دار الهاني للطباعة والنشر، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م، ص ١٢٤.
- ٦- ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة: عمر نور الدين، دار آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م.
- ٧- الخيال الخلاق عند ابن عربي، هنري كوربين، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات مرسوم، الرباط، ٢٠٠٦م.
- ٨- الرؤية الاستشرافية للفلسفة الإسلامية عند هنري كوربان، زهير بن كتفي، دار صفحات للنشر والتوزيع، سوريا، ط ١، ٢٠١٣م.

- ٩- الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، إدورد سعيد، ترجمة: د/ محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- ١٠- الشيعة، نص الحوار مع المستشرق كورين، العلامة الطباطبائي، ترجمة: جواد علي (خالد توفيق)، مؤسسة أم القرى، ط١، شعبان، ١٤١٦هـ.
- ١١- الشيعة الاثنا عشرية، هنري كورين، ترجمة: ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١٢- الصلة بين التصوف والتشيع، (العناصر الشيعية في التصوف)، كامل الشيبلي، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص٣١٥.
- ١٣- العرفان الشيعي، رؤى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية، من أبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم: الشيخ خليل رزق، دار فراق للطباعة والنشر، إيران، قم، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٤- العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠١٣م، ص١٥٧.
- ١٥- العلوم في الإسلام، سيد حسين نصر، ترجمة: مختار الجوهري، دار الجنوب للنشر، تونس، ط١، ١٩٧٦م.
- ١٦- فصول في التصوف، د/ حسن الشافعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٧- فلسفة العرفان، د/محمد شقير، دار الهادي/ مكتبة مؤمن قريش، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ١٨- الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية، يحيى محمد، دار الهادي، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٩- في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية، الشيعة الإثنا عشرية، هنري كورين، ترجمة: د/ ذوقان قرقوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

- ٢٠- قراءة التصوف الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية، ماسينيون نموذجًا، رسالة ماجستير، إعداد: محمود عبد الرازق حسن محمود، إشراف: د/ عبد الكريم عبد الله بالقاسم، جامعة بن غازي، كلية الآداب، قسم الفلسفة، عام ٢٠١٢م.
- ٢١- قلب الإسلام، قيم خالدة من أجل الإنسانية، السيد حسين نصر، تعريب داخل الحمداني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٢٢- مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، انطوان خوري، دار التتوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- ٢٣- مصطلحات عصر العولمة، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، مكتبة كتب عربية، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٢٤- مفهوم الفلسفة الإسلامية في استشراق هنري كوربين، زهير بن كتفي، مجلة الجمعية الفلسفية، مج٢٢، عدد ٢٢، ٢٠١٣م.
- ٢٥- مقدمة العقائد الكونية الإسلامية، د/ سيد حسين نصر، ترجمة: سيف الدين القصير، مطبعة اليمامة، حمص، ١٩٨٩م.
- ٢٦- الموسوعة الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م.
- ٢٧- الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء السوفيائين، إشراف: م/ روزنتال، ب/ يودين، صادرة من موسكو، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- ٢٨- الموسوعة الفلسفية العربية، د/ معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- ٢٩- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣.

٣٠- نظرة فيلسوف في سيرة الشيخ الإحسائي والسيد الرشتي، د/ هنري كورين، ترجمة: خليل زامل، إعداد: راضي ناصر السلطان، مؤسسة فكر الأوحى، دمشق، ط٢، ١٤٢٥هـ.

٣١- هنري كورين ومنهجه في الدراسات الإسلامية، حنان علي محمد أحمد، باحثة دكتوراة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

المراجع الأجنبية:

- 1 -Henry Corbin, 1903-1978: Between Philosophy and Orientalism
Author(s): Hermann Landolt Reviewed work(s): Source: Journal of the American Oriental Society, Vol. 119, No. 3 (Jul. - Sep., 1999), pp. 484-490 Published by: American Oriental Society Stable.
- 2- Muhin Mahdy, Orientalism and the study of Islamic philosophy, Journal of Islamic studies, 1, 1990, 93.